

الكنيسة وعمودية الصغار

"دَعُوا الْأَوْلَادَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلَا تَمْنَعُوهُمْ" (لو 18: 16)

الأب أمير بريخا – ديترويت، أميركا

المعمودية

المعمودية هي سر من أسرار الكنيسة السبعة والتي فيها يبطل جسد الخطيئة وتتطهر من الآثام، تمارس من خلال طقس كنسي يشير الى ولادة جديدة "إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" (يو 3 : 5).

يعتبر موضوع المعمودية الصغار، من المواضيع المهمة في حياة الكنيسة، لأنها تشرك الأطفال في قلب مؤسستها الروحية وتدخلهم ضمن عائلتها المقدسة، كفرديتمتع بكامل الحقوق غير المنقوصة .

فعندما تجتمع العائلة معاً حول مائدة طعام واحدة، يكون أفرادها متحدين في دواخلهم، وكل فرد فيها يتمتع بعضوية كاملة لا يحتاج فيها إلى دعوة حضور، لأنه يمتلك كل الحق العائلي في المشاركة .

لماذا بدأنا بالعائلة عند الحديث عن ممارسة معمودية الأطفال في الكنيسة؟

إن العائلة ومائدتها، كتابياً، هي صورة مثالية لمذبح الكنيسة وجماعتها، فنحن نولد في أسرة على هذه الأرض، ونولد ولادة جديدة (يو 3: 3) في عائلة سماوية، نأكل معاً من مائدة طعام في البيت، ونحتفل معاً أيضاً بتناولنا من مذبح الكنيسة، مع ربنا السماوي ومع الكنيسة أمنا (رؤ 1: 12) كعائلة مقدسة، بسبب عضويتنا الكاملة من خلال المعمودية المقدسة.

معمودية الأطفال في الكتاب المقدس؟

بالرغم من أنه لا يوجد وصف لعماد الأطفال في الكتاب المقدس، إلا أن هناك ذكر لخمس عوائل قد اعتمدت بالكامل:

1. اعتماد قرنيليوس وأهل بيته في أعمال الرسل 11: 13-14. "أخبرنا كيف رأى الملاك في بيته واقفاً وقائلاً له: أرسل رجلاً إلى يافا، واستدع سمعان الملقب بطرس، 14. وهو يكلمك كلاماً به تخلص أنت وأهل بيتك جميعاً".
2. اعتماد ليدية بائعة أرجوان وأهل بيتها (أي كل الأسرة) في أعمال الرسل 16: 15. "فلما تعمدت هي وأهل بيتها، دعنا بالحاح لقبول ضيافتها قائلة: «إن كنتم قد حكمتكم أني مؤمنة بالرب، فأنزلوا ضيوفاً بيّتي». فاضطرتنا إلى قبول دعوتها".
3. اعتماد سجان فيلبي وأهل بيته بأكمله في أعمال الرسل 16: 33. "فأخذهما في تلك الساعة من الليل وغسل جراحهما وتعمد حالاً هو وأهل بيته جميعاً".
4. اعتماد مجمع قرسبس وأهل بيته جميعاً (أع 18: 8): "أمن قريسبس رئيس المجمع بالرب، هو وأهل بيته جميعاً. وسمع كثيرون من أهل كورنثوس تبشير بولس، فأمنوا وتعمدوا".

5. اعتماد اسطفاناس واهل بيته (1 كو 16: 1): "مَعَ أَنِّي عَمَدْتُ أَيْضاً اسْطَفَانَسَ، فَلَا أَدْكُرُ أَنِّي عَمَدْتُ أَحَدًا غَيْرَهُمْ".

وفي مناسبة حلول الروح القدس يوم العنصرة يشرح لنا الكتاب المقدس أعمال الرسل 2: 41 كيف انضم الى المسيح ثلاثة آلاف نفس وتعمدوا باسمه " فَأَلْزَيْنَ قَبِلُوا كَلَامَهُ مِنْهُمْ تَعَمَّدُوا. وَأَنْضَمَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ نَحْوُ ثَلَاثَةِ آلافِ نَفْسٍ". ونحن نعلم أن العائلة الشرقية لا تخرج بمفردها دون استصحاب الأطفال معهم، فكم بالحري في مثل هذا الحدث الذي قام به الرسل .

الأطفال أفراد في الأسرة

قد يعترض البعض ويقول: إن أهل البيت أو العائلة قد لا تعني بالضرورة شمول الأطفال، ولكن علينا أن نفهم طبيعة العائلة آنذاك وكيف كانت تحتضن جميع أفراد الأسرة، ومن ضمنهم الأطفال، وأن عدم ذكرهم في الكتاب المقدس عائد الى أن الشرقيين الساميين، قد تعودوا أن لا يحصوا النساء والأطفال والفتيان والفتيات، ولدينا عدة دلائل في الكتاب المقدس على انهم يعدّون الرجال فقط (انظر معجزة الخبز والسمك في متى 14: 21، 15: 38 وفي لوقا 3: 24-38 نسب يسوع المسيح). العائلة عند الأسرة اليهودية أو الشرقية، تعني البيت كله من ضمنهم النساء والأطفال، والرب دائماً يتكلم عن عهده مع شعبه وعن العائلة بجميع أفرادها، على مثال عائلة نوح، التي طلب الرب منه أن يدخل السفينة مع جميع أهل بيته (تك 1: 7).

هنالك العديد من الأمثلة في الكتاب المقدس تشير بوضوح الى هذا المفهوم الأسري، (انظر تكوين 17: 23، 21: 4).

الكتاب المقدس لم يحرم عماد الأطفال

على الرغم أنه لا توجد هناك آية واحدة تشير الى تحريم عماد الأطفال في العهد الجديد، إلا أن معمودية الكنيسة للصغار لا تدخل ضمن باب الإيجاب أو إلغاء إرادة الأطفال، لأن الغاية منها إشراكهم في جماعة الكنيسة المقدسة. الختان في العهد القديم يرمز إلى المعمودية في العهد الجديد، فموجب العهد، ختن إبراهيم وهو في التاسعة والتسعين من العمر، وختن أيضاً وفي الوقت ذاته، الأطفال وهم بعمر ثمانية أيام، (تك 17: 12)، فكما أن الأطفال يُختنون في أيام حياتهم الأولى، وهم لا يدركون شيئاً عن طبيعة العهد بين الله وإبراهيم، هكذا عماد الأطفال في العهد الجديد والتي من خلالها يحصلون على عضوية آدم الثاني الذي هو أعظم من الأول، تحت رعاية واهتمام الإشبين (القريب) الذي يكون وجوده شرطاً لهذا الإتمام. في العهد القديم وبعد الختان في اليوم الثامن، يصبح الطفل عضواً كاملاً في العهد، وأن بإمكانه المشاركة آنذاك، في عيد الفصح، باعتباره شرطاً أساسياً لدخول المجتمع اليهودي، هكذا العماد في المسيحية أخذ مكان الختان وبه يصبح قادراً على المشاركة في مائدة الفصح الجديد (دم وجسد الرب يسوع المسيح).

التوبة قبل العماد

وقد يعترض البعض الآخر ويقول إن مار بطرس قد أشار في أعمال الرسل (2: 38) الى أهمية التوبة قبل العماد "تُوبُوا وَلِيَعْتَمِدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِغُفْرَانِ الْخَطَايَا"، فرغم أن الأطفال الصغار لا خطايا لهم، إلا أن العماد لهم ضروري بسبب حملهم للخطيئة التي انحدرت إليهم من جنس آدم، وإذا ما أكملنا قراءة الآية أعلاه فإننا نجد أن هذا الوعد الإلهي "هُوَ لَكُمْ وَلِأَوْلَادِكُمْ" الآية 39 وهذه دعوة لكي يحيا الجميع ضمن حدود الطبيعة الجديدة من الله لأن دخول الملكوت مشروط بالولادة الجديدة.

لم يمنع الرب الأطفال من الدخول في العهد الجديد

لم يمنع الرب يسوع المسيح، الأطفال، من الدخول في العهد الجديد، بل قال : "دَعُوا الْأَطْفَالَ يَأْتُونَ إِلَيَّ، وَلَا تَمْنَعُوهُمْ عَنِّي، لِأَنَّ لِمِثْلِ هَؤُلَاءِ مَلَكُوتَ اللَّهِ" (لو 18: 16)، ويكتب بولس الرسول الى تلميذه تيطس أن الله الذي يريد خلاص جميع الناس ولا يستثنى الصغار هنا: "وَلَكِنْ، لَمَّا ظَهَرَ لَطْفٌ مُخْلِصِنَا اللَّهُ، وَمَحَبَّةٌ لِلنَّاسِ، خَلَّصْنَا، لَا عَلَى أَسَاسِ أَعْمَالٍ بَرٍّ قُمْنَا بِهَا نَحْنُ، وَإِنَّمَا بِمُوجِبِ رَحْمَتِهِ، وَذَلِكَ بِأَنَّ غَسَلْنَا كَثِيرًا غُسْلَ الْخَلِيقَةِ الْجَدِيدَةِ وَالتَّجْدِيدِ الَّذِي يُجْرِيهِ الرُّوحُ الْقُدُسُ." (تيطس 3: 4-5).

الأطفال ورثة الإيمان

إن عماد الأطفال شيء طبيعي عند المؤمنين بالمسيح لأنهم يريدون أن يورثوا أطفالهم، إيمانهم، كما يورثونهم قوميتهم، لغتهم وثقافتهم، فمن منا لا يقوم بواجب الاعتناء بأطفاله ويحرص على أن تكون حياتهم، مثلي، لقد تركنا وطننا من أجل أن يعيش أبناؤنا بسلام، وهنا في بلاد الاغتراب إن كنا نحرص على إدخالهم في أفضل المدارس، ونحاول إكسابهم عادات الحياة الجيدة في المأكل والملبس والحياة الكريمة، فكم بالحري أن نورثهم إيماننا ونشركهم في هذه النعمة لكي يكونوا أعضاءها ينمون فيها أمام أنظارنا دون أن نتركهم للأهواء الخارجية والتخبط في الاختيار .

ان استشرنا أطفالنا وهم في أعمارهم الأولى في أمر الملبس، والمأكل والدراسة لما اختار أحدهم او اهتم قيد أنملة لأنهم يفضلون اللعب والألعاب على الأشياء الأخرى، فهل نرضى في ترك أطفالنا لكي يكبروا ويختاروا مستقبلاً، إيماناً او ديناً آخر عندما يبلغون سن النضج؟ لا أعتقد ذلك. لذا نحرص على أن ندخلهم معنا في هذه النعمة المجانية المعطاة من الله لنا، نعمة المعمودية، التي فيها ننال الروح القدس والولادة الجديدة. وكلام المسيح واضح، إن كل انسان (طفلاً كان ام كهلاً) لا يولد من الروح يبقى جسداً: "إن لم يولد أحد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله. المولود من الجسد إنما هو جسد، والمولود من الروح إنما هو روح." (يو 3: 5-6).

